

عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) دوره في القضاء في خلافة عمر بن الخطاب أوّل محكمة تمييز في دولة الإسلام

عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) دوره في القضاء في خلافة عمر بن الخطاب أوّل محكمة تمييز في دولة الإسلام

المحامي الشيخ مصطفى ملص

عضو تجمع العلماء المسلمين - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم أنت المستعان وعليك التكال ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين.

العلاقة بين أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم))

وبين أصحابه رضوان الله عليهم

المبحث الأول:لمحة تاريخية عن مكّة والتنافس بين أهلها:

قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعدما أسس دولة الإسلام في الجزيرة العربية حيث المجتمع مجتمع قبائل وعشائر، فكما كانت بقية أرض الجزيرة العربية كذلك كانت مكّة والمدينة وسواهما من الحواضر، قبائل وعشائر وعائلات عموماً متنافسة وأحياناً متحالفة، تبعاً لتقاطع المصالح أو تعارضها.

وفي مكّة أم القرى أي القرية الرئيسية التي توازى في عرفنا اليوم العاصمة، حيث بالإضافة إلى البيت الحرام، القرار الأهم والاقتصاد والسياسة وغير ذلك مما تتميز به العواصم عن سواها من البلدان، كانت قريش هي القبيلة المسيطرة التي لا تنازع بما تتمتع به من مركز نفوذ وإدارة للحرم وما يعنيه من مكانة دينية عند العرب، وأيضاً ما تتمتع به من سيطرة على تجارة الجزيرة العربية والروابط الاقتصادية مع كل من الشام واليمن وفارس والروم.

غير أن قريش القبيلة الواحدة كانت مقسمة إلى عائلات وبطون وأفخاذ، فعند ظهور الإسلام وإظهار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لدعوته كان هناك هاشم وبنو عبد شمس وبنو عدى وبنو تيم وغيرهم، وكان هناك تنافس وسباق بين أهم هذه البطون والأفخاذ بنى هاشم وبنى عبد شمس. حيث كان كل طرف يسعى لأن تكون له الكلمة الأولى والامتياز الأهم في مكّة.

ومما يظهر من خلال سير العائلات في مكّة أن بنى عبد شمس كانوا يصارعون للتقدم على بنى هاشم الذين كما يبدو كانت الزعامة تنقاد اليهم انقياداً، لصفات تميزوا بها عن أقرانهم ولتاريخ آبائهم الموصوف بالجود والكرم والحمية والنجدة.

وظهر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بنى هاشم، ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام وتوحيد القبائل العربية في أمة واحدة تحمل الإسلام إلى بقية العالم لتتكون بعد ذلك أمة الإسلام التي لا فضل فيها لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، فكل الناس سواسية، وكل الناس عباد الله، وهذا بعد ذاته شكل نقضاً لما هو متعارف عليه في مكّة آنذاك حيث كان الناس قبائل متفاوتة وأحرار وموالى وسادة وعبيد. مما أدى إلى قيام ردة فعل شديدة من قبل الذين رفضوا دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اعتبروه من أنها تهدف إلى اضعافهم والقضاء على مصالحهم وسيادتهم على بقية القبائل في الجزيرة العربية.

وكان من نتيجة هذا التناقض بين دعوة الإسلام ومصالح المشركين ورفض المجتمع القرشي بمعظمه للدعوة الجديدة، حيث لم يؤمن إلا نفر قليل من الناس خلال ثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة في مكّة، حصول الهجرة إلى المدينة (يثرب) التي رغم تناقضات أهلها فيما بينهم ووجود أكثر من دين فيها استطاعت أن تحتضن دعوة الإسلام وأن تقيم أول مجتمع إسلامي تحول إلى دولة منظمة بمقاييس ذلك العصر، ثم عاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكّة فاتحاً بعد سلسلة من المعارك والمواجهات انتهت بقتل معظم من سمّوا بالصناديد وهم كبار الرجال أو القادة المشركون. ودخل المسلمون مكّة فاتحين وأظهر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تسامحاً كبيراً إذ عفى عن معظم الذين حاربوه وآذوه وأخرجوه من بلده إلا نفراً قليلاً أمر بالقضاء عليهم نظراً لما ارتكبوه من جرائم تشبه في عصرنا الحاضر ما يسمى بجرائم الحرب.

دخل جميع أهل مكّة في الإسلام حيث وجدوا أنه لا مناص من قبول الأمر الواقع وانضموا إلى صفوف المسلمين. ولكن وكما يبدو فإن ما كان من تنافس قبل الإسلام لم ينته بدخول الجميع في الدين الجديد،

إذ اعتبر البعض أن بنى هاشم قد انتصروا في المواجهة وتمكنوا من اخضاع خصومهم، وهذا يعنى أن هؤلاء
الخصوم أو بعضهم لم يفهموا روح الدين الاسلامى وحقيقة الدعوة الجديدة، وراحوا يتحينون الفرصة من
أجل استعادة مكانتهم وازاحة منافسيهم.

ان هذه الصورة بالتأكيد تنطبق على البعض ولا تنطبق على الجميع، حيث إن أغلبية الناس من أهل مكّة
قد أسلموا وحسن اسلامهم. ولكن بعض التقاليد والأعراف ظلت كامنة إلى حد ما في بعض النفوس مما أثر
فيما بعد على العلاقة مع أقرباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذريته من بعده.

المبحث الثاني: مكانة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

حدد القرآن الكريم المكانة العظيمة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو القدوة والأسوة
والمثل الذي ينبغي اتباعه. وهو صاحب القضاء النافذ والارادة العليا، (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا
قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) ([1]).
ومن يرد قضاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو كافر.

ولعل الميزة الأهم التي جعلها الإسلام للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي وجوب المحبة من قبل
كل مؤمن ومؤمنة: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه".

وهذه المحبة من الأمور الميسرة، فالناس مفطورون على محبة ما يحقق لهم ذاتهم ومصالحهم وما يريحهم
وعلى محبة من يحبهم ويسعى في سبيل أمنهم وراحتهم وضمان مستقبلهم.

وإذا نظرنا إلى شخصية النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نجده من خلال نفسيته وسيرته

وأعماله وأقواله وعلاقاته بالآخرين، لا يحمل أي صفة من الصفات المنفرة التي ينفر الناس منها بالفطرة بل نراه يتمتع بكل الصفات التي تحبه إلى الناس وتقربه إلى القلوب وتجعل المحيطين به يتعلقون به أشد التعلق بل ويؤثرونه حتى على أنفسهم وأبنائهم وآبائهم؛ (قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره).

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ([2])، (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ([3]).

وهذه الصفات يذكرها القرآن الكريم أمام المؤمن بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمام المنكر لها. ولو كانت غير موجودة فيه لقام من ينكر نبوته، مكذباً لذلك، ولكنهم لم يكذبوا هذه الصفات وإنما رموه مرة بالجنون ومرة بالسحر وغير ذلك من الأمور التي لا مقاييس محددة لها.

فحب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو حب صفاته من الأمور الفطرية التي فطر عليها الإنسان السليم العقل والحواس، والتي لا يمكن لإنسان أن يُصرف عنها إلا بحقد قديم دفين، أو عقد نفسية أو بمرض في النفوس أو القلوب أو الصدور.

لقد أحبّ المسلمون رسولهم ورضخوا لأمره واستجابوا له، ومع ذلك لم يكن عليه وعلى آله الصلاة والسلام ليستغل ذلك في جلب منفعة لنفسه أو لأحد أقربائه مهما كانت درجة قرابتهم منه، بل لم يكن يميز نفسه عن أحد منهم بأي متاع أو مكسب أو دنيا، بل كان يجافى الدنيا ويأمر أهله بمجافاتها ([4]).

حتّى أن ابنته الحبيبة إلى قلبه فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) تطلب منه أن يأتيها بمن يخدمها ليخفف عنها بعضاً من تعبها، فاذا به يأمرها بالصبر والذكر والتحمل.

وفي بعض المرات حينما كان يتصرف عليه الصلاة والسلام تصرفاً تخفى أبعاده على المحيطين به، فيبدون اعتراضاً أو استنفهاماً أو استغراباً. كان جوابه لهم (صلى الله عليه وآله وسلم) ينزل على قلوبهم برداً وسلاماً ويزدادون له حباً وبه تعلقاً. كما حصل مع الأنصار بعد غزوة حنين حينما أعطى الغنائم للمكيين حديثى الإسلام ولم يعط الأنصار أصحاب الفضل والسبق فوجدوا في أنفسهم عليه، فلما بين لهم الأمر، قالوا رضينا برسول الله قَسَماً.

ولقد بيّن لنا رب العزة جلّ وعزّ أن حبّ الله للناس مرتبط بحبهم لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعهم له فقال: (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ([5]).

وهكذا تكون العلاقة جدلية بين حب الناس الله وحبهم لرسوله وحب الله لهم، فبدون ذلك الحب ليس هناك إيمان وإذا نقص من أي طرف من أطرافه سقطت المعادلة كلها.

المبحث الثالث: حب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث كثيرة تفيد وجوب حب آل بيته وتقديرهم واحترامهم. ولقد ذكر القرآن الكريم أن مودة قرابة النبي هي البذل الذي يطلبه عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ([6]).

أما الأحاديث فمنها ما أورده الطبري (محب الدين) في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى:

1 - عن عبد العزيز باسناده أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً". أخرجه أبو سعيد والملا.

2- وعنه أيضاً قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "استوصوا بأهل بيتي خيراً فإنى أخاصكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار" ([7]). أخرجه أبو سعيد والملا في سيرته.

3 - عن ابن عباس (رضي الله عنه) ما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لو أن رجلاً صف بين الركن والمقام، فصلى وصام لقي الله مبغضاً لأهل بيت محمد دخل النار" ([8]). أخرجه ابن السري.

4 - عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أبغض أهل البيت فهو منافق". أخرجه أحمد في المناقب.

5- عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى ولا يبغضنا إلا منافق شقى" ([9]). أخرجه الملا.

6 - عن علي (كرم الله وجهه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبايتين" ([10]). أخرجه الملا. أ. هـ .

هذه النصوص التي أوردها محب الدين الطبري في كتابه الآنف الذكر ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى. تدل على المكانة التي يجب أن تفرد لآل البيت عليهم السلام في قلب كل مؤمن من الحب والتقدير والاحترام.

المبحث الرابع: كيف كان التعاطى مع أهل البيت (عليهم السلام) ؟

كان أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) محط احترام ومحبة وتقدير عند أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما الخلاف الذي نشب حول الخلافة وأحقية أمير المؤمنين بخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو محض اختلاف في الفهم والتأويل. فرغم كل النصوص التي تتحدث عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كحديث غدير خم الذي لم ينكر أحد وجوده وغيره من الأحاديث التي تبين مكانته عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنهم لم يفهموا منها وجوب توليته الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبغض النظر عن هذا الحدث التاريخي وأيهم كان أحق في الفهم وأصوب فافنى أحب أن أتطرق إلى مكانة أمير المؤمنين عند أقرانه من معاصريه لا سيما عند أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما).

فمن خلال الاطلاع على سيرة هؤلاء الرجال أنهم كانوا يكونون لبعضهم البعض كل الحب والتقدير والاحترام، وهذا لا يعنى عدم الاختلاف حول العديد من المسائل. ووجدت أن مكانة علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي مكانة الأعلام فيما بينهم وأنه من دون الناس كان يرجع إليه في كل أمر مشكل وكل قضية ملتبسة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل أنه الوحيد الذي نقل أنه كان يملك صلاحية نقض أحكام الخلفاء الذين سبقوه، بما يملكه من علم وما يقدم من حجة وما يزيل من التباس.

وبالمقارنة مع ما هو كائن اليوم فقد كان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قبل توليه الخلافة يمثل ما تمثله اليوم محاكم التمييز التي تملك الحق في ابرام الأحكام ونقضها .

المبحث الخامس: مكانته من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

دلت الأحاديث على مكانة أمير المؤمنين العظيمة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقد خرج الترمذي في صحيحه في أبواب المناقب في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جملة من الأحاديث يستفاد منها مكانته من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فعن سعد بن أبي وقاص بإسناده أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ([11]). قال هذا حديث حسن صحيح.

وفي حديث طويل أخرجه الترمذي في صحيحه أيضاً عن عمران بن حصين قال: "بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب، فمضى في السرية فأصاب جارية، فانكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا إذا لقينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرناه بما صنع على وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا يا رسول الله ألم تر لي علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا. فأعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثلما قالوا، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والغضب يعرف في وجهه فقال: ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، ان عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي" ([12]).

وله أيضاً من حديث أبي الطفيل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من كنت مولاه فعلى مولاه".

وجاء في صحيح مسلم في باب "من فضائل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)" ما يلي: "...عن سهل بن سعد قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: "إني علي بن أبي طالب فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: أنفذ على رسلهم حتى تنزل ساحاتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم" ([13]).

وفي ذخائر العقبى ذكر الطبري حديثاً عن عائشة (رضي الله عنه) أنها سئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟، قالت: فاطمة، فقبل من الرجال قالت زوجها ان كان ما علمت صواماً قواماً ([14]). أخرجه الترمذي.

ونختم في هذا العنوان بمؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار ومؤاخاته مع علي (رضي الله عنه). ففي ذخائر العقبى عن ابن عمر (رضي الله عنه) ما قال: آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد. قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنت أخى في الدنيا والآخرة" ([15]).

وهكذا نجد مكانة علي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه وسلم هي المكانة الأولى بين الرجال،

حبا واختصاصا بالفضل والتقريب.

المبحث السادس: مكانته العلمية:

ذكر صاحب ذخائر العقبي أنه لم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى غيره. وروى عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله يقول سلونى إلا عليا. أخرجه أحمد في المناقب والبعوى في المعجم وأبو عمر ولفظه ما كان أحد من الناس يقول سلونى غير علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

وعن أبي الطفيل قال: شهدت عليا يقول سلونى، فوالله لا تسالونى عن شيء إلا أخبرتكم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلى نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. أخرجه أبو عمر ([16]). أ. هـ .

ان تصرف أمير المؤمنين هذا هو تصرف العالم الواثق من علمه، المستشعر لعظم المسؤولية في تبليغ هذا العلم الذي استودعه، لذلك تراه الناس على السؤال لأن العلم بين أمرين بين السؤال والجواب.

لكن ما هو مستند هذه الثقة العظيمة التي تمتع بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)؟

ان مصدر هذه الثقة هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي قال فيما رواه الترمذي بسنده عن علي (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنا دار الحكمة وعلى بابها" ([17]).

والذى قال لابنته فاطمة (رضي الله عنه) عندما دخل عليها وهى شاكية فقال كيف تجدينك؟ قالت لقد اشتدت فاقنى وطال سقمى. قال عبداً بن أحمد بن حنبل وجدت بخط أبي في هذا الحديث قال: أو ما ترضين انى زوجتك أكرمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ([18]).

وهذه المكانة العلمية لم يكن أحد ينازعه اياها أو يدعى أنه أكثر منه علماً ولا مساوياً له، فقد سلم له الجميع، حتّى أن أحدهم كان إذا سئل عن مسألة أشكلت عليه طلب من السائل أن يسأل عنها علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

فعندما سئلت عائشة عن المسح على الخفين قالت للسائل ائت علياً فأسأله. (أخرجه مسلم) ([19]).

وهذا ابن عباس حبر الأمة (رضي الله عنه) ما يقول: والله لقد أعطى عليّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر (أخرجه أبو عمر).

وأما خير شهادة في علمية علي بن أبي طالب فهي شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مارواه على (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليهنك العلم أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً". أخرجه الرازي ([20]).

ان هذه المكانة قد أهلت علياً (رضي الله عنه) ليتبوأ دور العالم والفقير الذي يرجع إليه في كل أمر، بل والذي يملك حق المبادرة لتصويب الأحكام وبيان الحقائق، وتفنيد الحجج.

ولكننا مع ذلك نلاحظ أنه رغم تمتعه بكل تلك المميزات فإنه لم يكن الشخص المرغوب فيه عند البعض، وكان يستبعد وينتقد من قبل أناس لا يساوونه قدرا ولا علما ولا نسبا. وقد شعر أن أصحابه قلة قليلة فأوثر عنه قوله الشهير: "ما ترك لي الحق صاحباً".

ولئن انطلقت الأقوال والاشاعات والمؤامرات ضد علي (رضي الله عنه) فإنه كان له في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السند والمحامي والمدافع الذي لا شك لحظة واحدة في أن عليا هو أعلم الناس وأصدق الناس وأتقى الناس.

لذلك كان قوله لمن اشتكوا إليه عمل علي: "ماذا تريدون من علي، ماذا تريدون من علي ماذا تريدون من علي ان عليا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدى"([21]).

وكان يؤكد علي حكمته: "أنا دار الحكمة وعلي بابها"([22])، بل أنه قال فيه ما لم يقله في سواه.

فعن زر بن حبیش عن علي قال: لقد عهد إلى النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) وسلم أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق...([23]).

ان الصراع الذي كان سائدا في مكّة قبل الإسلام لم ينته تماما مع مجيء الإسلام ودخول الناس فيه، فقد لعبت القبلية والعشائرية دورها في عدم انزال علي بن أبي طالب المنزلة التي يستحقها عند البعض. فقد صار علي (رضي الله عنه) رمزا لبنى هاشم وهو المقدم فيهم والمبرز علما وورعا والمؤهل للقيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان هناك من يطمح ليستولى على هذه القيادة وينزعها من بنى

هاشم. فعمد إلى معاداة على والكيد له.

ولعلّ السبب الأهم في الجفاء وحتى البغض الذي لاقاه علي (رضي الله عنه) هو بلاؤه في الحروب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدته على القوم.

فكل هذه العوامل ساهمت في ذلك الجو من الاعراض الذي قوبل به علي (رضي الله عنه). وهو في كل ذلك مظلوم فقد وضع الإسلام عليا في مكانة عظيمة وكان همه الإسلام وكان أعدائه الدنيا ومتاعها.

ولعل القول الذي قاله أبو سفيان في مجلس عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عندما آلت إليه الخلافة عندما سأله أفيكم أحد من غيركم؟ (أي من غير بني أمية) فقالوا لا. فقال تمسكوا بها وتلقوها كالكرة...!

ان مثل هذا الكلام يدل دلالة واضحة على ما أشرنا إليه.

ولكن رغم كل ذلك فقد كان الناس محتاجين إلى علم على وفقهه وحكمته وقضائه، ولم يكن هو يحتاج لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الفصل الثاني

المبحث الأول: قضاؤه زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

القضاء بالاضافة إلى أنه علم فهو موهبة من الله عز وجل، والمواهب خصائص يختص بها الله من يشاء من عباده. والعلم يغذى الموهبة ويعطيها أبعادا واسعة فكيف إذا اجتمع العلم والتقوى ومخافة الله عز وجل مع الموهبة، وكيف إذا اقترن كل ذلك بالمهابة.

لقد اجتمعت كل تلك الصفات في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فكان أعظم قاض عرفه الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصية علي (رضي الله عنه) فولاه القضاء وهو حديث السن.

فقد ورد عنه أنه قال: لما بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن قاضيا وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله تبعثني إلى قوم تكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، قال: ان الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك. قال: فما شككت في قضاء بين اثنين. خرجه أحمد ([24]).

وقرر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عليا (رضي الله عنه) هو أقضى هذه الأمة، فهو أقضى الأولين والآخرين فيها ولا يستطيع أحد أن ينازعه زعامة القضاء والبراعة فيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "أقضى أمتي على". أخرجه البغوي في المصابيح الحسان ([25]).

وعن عمر (رضي الله عنه) قال: "لأقضا نا على". أخرجه السلفي.

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (رضي الله عنه): تخصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهداً وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية. أخرجه الحاكم ([26]).

فهل بعد هذا البيان النبوي قول لقائل، وهل بعد هذه الشهادة شهادة أعظم منها.

وقد جاءت الوقائع التي قصي فيها علي بن أبي طالب بقضائه تدل على دقة التقدير النبوي لهذه الشخصية العظيمة في مجال القضاء. كما في غيره من المجالات التي زكاه فيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

ونذكر على سبيل المثال بعضاً من قضائه (رضي الله عنه) زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

عن إبراهيم بن هاشم النوفلي عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً إلى اليمن وإذا زبية ([27])، قد وقع فيها الأسد، فأصبح الناس ينظرون إليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية، فسقط رجل في الزبية، وتعلق بالذي يليه، وتعلق الآخر بالآخر، حتى وقع فيها أربعة، فجرحهم الأسد، وتناول رجل الأسد بحربة فقتله، فأخرج القوم موتى، فانطلقت القبائل إلى قبيلة الرجل الأول الذي سقط وتعلق فوقه ثلاثة، فقالوا لهم: أدوا دية الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم، فلولا هو ما سقطوا في الزبية، فقال أهل الأول: إنَّما تعلق صاحبنا بواحد فنحن نؤدى ديته، واختلفوا حتى أرادوا القتال، فصرخ رجل منهم: أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) (عليه السلام) وهو منهم غير بعيد فأتاهم ولامهم، وأظهر موجدة. وقال لهم: لا تقتلوا أنفسكم ورسول الله حي، وأنا بين أظهركم، فانكم تقتلون أكثر مما تختلفون فيه، فلما سمعوا ذلك منه استقاموا، فقال: انى قاص فيكم

قضاء فان رضيتموه فهو نافذ، والا فهو حاجر بينكم، من جاوزه فلا حق له حتّى تلقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيكون هو أحق بالقضاء مني، فاصطلحوا على ذلك، فأمرهم أن يجمعوا دية تامة من القبائل الذين شهدوا الزبية، ونصف دية، وثلاث دية، وربيع دية، فأعطى أهل الأول ربيع دية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وأعطى الذي يليه ثلث الدية من أجل أنه هلك فوقه اثنان، وأعطى الثالث نصف الدية من أجل أنه هلك فوقه واحد، وأعطى الرابع الدية تامة لأنه لم يهلك فوقه أحد، فمنهم من رضى ومنهم من كره، فقال لهم على تمسكوا بقضائي إلى أن تأتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكون القاضى فيما بينكم، فوافوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه سلم بالموقف فثاروا إليه فحدثوه وحدثهم، فاحتبى ببرد عليه ثم قال: أنا أقضى بينكم ان شاء الله، فناداه رجل من القوم: ان علي بن أبي طالب قد قضى بيننا، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما هو؟ فأخبروه، فقال: هو كما قضى. فرضوا بذلك ([28]).

كما روى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالسا مع جماعة من أصحابه فجاءه خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله ان لى حمارا وان لهذا بقرة، وان بقرته قتلت حمارى. فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اقض بينهما يا على. فقال على لهما: أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدود والآخر مرسلا؟ فقال: كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال على: على صاحب البقرة ضمان الحمار. فأقر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حكمه، وأمضى قضاءه ([29]).

المبحث الثاني: درجة قضاء علي (عليه السلام) أيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

عين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في منصب القضاء زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وكان (عليه السلام) يدرك أن فصله في أية قضية من القضايا لا يكون مبرما، لهذا نراه عندما يقضى في مسألة فانه كان يخبر أطرافها بأن بإمكانهم في حال عدم قبولهم بالحكم الذي يصدره، مراجعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتولى فصل القضية بنفسه.

فكان عليا في قضائه زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يشبه ما يسمى اليوم بمحكمة البداية التي تقبل أحكامها أو القضايا المعروضة أمامها النظر من قبل محكمة عليا.

فقد رأيناه عندما تصدى لقضية الأربعة الذين ماتوا في مسألة زبية الأسد في اليمن يعرض عليهم أن يقضى بينهم بقضائه، فإن أعجبهم ما قضى به انفذوه وان لم يعجبهم كان هذا القضاء حازا بينهم حتى يرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقضى بينهم بقضائه الفصل والنهائي الذي لا يقبل المراجعة أبدا.

وكان بعض الناس لا يقبل بما يقضى به على (رضي الله عنه)، ويظن أنه قد حاق عليه بقضائه فكانوا يرفعون الأمر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فماذا كان موقف النبي من أقضية على (رضي الله عنه)؟

من استقراء جميع القضايا التي قضى فيها على (رضي الله عنه) بحكمه وعرضها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا نجد قضية واحدة رد فيها حكم على (رضي الله عنه).

وفي مسألة القوم الذين وقع عليهم الحائط فقتلهم، وكان فيهم امرأة مملوكة وأخرى حرة، وللحرة طفل من حر، وللمملوكة طفل من مملوك ولم يعرف المملوك من الحر فقرع بينهما، وحكم بالحرية لمن خرج عليها سهمها وبالرقية لمن خرج عليها سهمها ثم أعتقه، وجعل مولاه مولاه (كذا) وحكم به في ميراثهما بالحكم في الحر ومولاه. فأمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا القضاء وصوبه (أي قال بصوابه) ([30]).

وهكذا في عديد من القضايا كقضية الرجلين اللذين وقعا على جارية واختلفا على وليدها، وفي قضية البقرة التي قتلت حمارا وكان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة فقضى بالضمان على صاحب البقرة لصاحب الحمار. وأيضا في قضية الرجل الذي نفحه الفرس فمات.

وهكذا نجد أن دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم اهد قلبه وسدد لسانه قد أتى ثمرته اطمئنانا من قبل عليّ الذي روى الحديث فقال: "ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين. فلم يخطئ على (رضي الله عنه) في قضاء قضاؤه. وكأن القضاء كان عنده سليقة.

المبحث الثالث: قضاؤه (عليه السلام) في عهد الخلفاء الذين سبقوه :

بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتحاقه بالرفيق الأعلى في الجنة توقف وحى السماء، وصار العلم علما بالكتاب والسنة، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (رضي الله عنه): "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" فلا نبوة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو خاتم النبيين.

فمن كان أعلم الناس بالكتاب والسنة من بين أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! أنه بدون منازع علي بن أبي طالب.

وهي منزلة أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنا دار الحكمة وعلى بابها"، وقال لابنته فاطمة كما مر معنا أنه زوجها بأعلمهم.

وقد ادعى علي هذه المنزلة، فكان يقول: سلوني.. سلوني.

ورغم كثرة أعدائه ومبغضيه فلم يتجرأ أحد على الاعتراض على دعواه أو الرد عليها حتى أن خصومه

المباشرين كانوا إذا سئلوا عن مسائل وعجزوا عن الجواب كانوا يحيلون السائل على علي (رضي الله عنه). فكان يجد الجواب الشافي.

بالإضافة إلى ذلك فقد اعترف الجميع بأن عليا (رضي الله عنه) أفضى الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان عمر بن الخطاب يقول: "أقضانا على" ([31]).

ولقد كان قضاؤه في عهد أبي بكر يسيرا فلم تنقل الروايات إلا النزول اليسير وكذلك في عهد عثمان بن عفان. ويبدو أن عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد حفل بالدور الأكبر لعلي (رضي الله عنه) لذلك سنركز على دوره القضائي في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

المبحث الرابع: قضاء علي (عليه السلام) في عهد عمر بن الخطاب

كنا قد أشرنا إلى أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يتمتع بشخصية القاضي بكل أبعادها وهو ما لم يكن موجوداً عند غيره، ومنهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان عمر (رضي الله عنه) على ما هو معروف عنه من أنه الفاروق وأنه فرق الله بين الحق والباطل، بإسلامه ودفاعه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير بارع في القضاء فكان يصدر أحكاماً على المتخاصمين فيها خلل كبير يدل على عدم دراية أما بالأصول؛ أصول التقاضي، وأما بالنصوص التي يجب أن تطبق على القضية. وهذا لا ينتقص من شخصية عمر ولا من مكانته فليس مطلوباً من كل إنسان أن يكون بارعاً في كل شيء وماهراً في الأمور جميعاً وملكات الأفراد تختلف من شخص لآخر وقد بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك عندما بين مهارات بعض أصحابه فقال - كما ورد معنا سابقاً - "أقضاكم على" وفي حديث آخر رواه قتاده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيده بن الجراح" ([32]).

فكانت أقضيته هذه إذا التي وصلت إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ردها، وبين وجوه الخلل فيها وأصدر فيها الحكم الصحيح المعلن. لأن عليا كان يعلل أحكامه. أي أنه يبين الوجوه التي استند إليها، والأسباب، والنصوص.

وكان عمر يظهر دائما اعجابه بما يقضى به علي (رضي الله عنه) ما، ويعترف بأعلميته وأهليته للقضاء، واشتهر عنه قوله: لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن ([33]). وكان ينفذ أحكامه دون تردد.

وكان في بعض الأحيان تعرض عليه قضايا فيمتنع عن النظر فيها ويرفعها إلى علي ليرى فيها رأيه. فقد نقل صاحب كتاب الأعيان عن القاضي نعمان في شرح الأخبار عن أبي عثمان النهدي قال: جاء رجل إلى عمر فقال اني طلق امرأتى في الشرك تطليقة وفي الإسلام تطليقتين فما ترى؟ فسكت عمر فقال له الرجل ما تقول. قال كما أنت حذّى يجده علي بن أبي طالب، فجاء علي فسأله، فقال: هدم الإسلام ما قبله هي عندك على واحدة ([34]).

وذكر الطبري في ذخائر العقبى عن محمد بن الزبير قال: دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بشيخ قد التوت ترقوتاه من الكبر، فقلت يا شيخ من أدركت؟ قال عمر (رضي الله عنه) فقلت فما غزوت معه؟ قال: غزوت اليرموك. قلت فحدثني شيئا سمعته. قال: خرجت مع فتية حجاجا فأصبنا بيض نعام وقد احرمنا فلما قضينا نسكنا ذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر، فأدبر وقال اتبعوني حتّى انتهى إلى حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ف ضرب حجرة منها فأجابته امرأة فقال: أتم أبو حسن؟ قالت: لا. فمر في المقناة فأدبر وقال اتبعوني حتّى انتهى إليه وهو يسوى التراب بيده فقال مرحبا يا أمير المؤمنين، فقال ان هؤلاء أصابوا بيض نعام وهم محرمون، فقال إنا أرسلت إلى. قال أنا أحق باتيانك. قال يضربون الفحل فلائم أبكارا بعدد البيض فما نتج منها اهدوه. قال عمر: فان الابل تخذج. قال علي والبيض يمرض. فلما أدبر قال عمر: اللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي ([35]).

وننقل جملة من المسائل التي عرضت على عمر (رضي الله عنه) فقضى ببعضها بحكمه ثم نقض على (رض) الحكم، أو ردها عمر مباشرة إلى على (رضي الله عنه) ليحكم فيها أو اختلف فيها وقضى فيها على بقضائه.

وهي كما نقلها صاحب كتاب أعيان الشيعة السيد محسن الأمين في كتابه:

1- في مناقب ابن شهر آشوب: أنه أتى إلى عمر برجل وامرأة قال لها الرجل: يا زانية. فقالت: أنت أزنني مني. فأمر بأن يجلدا، فقال على: لا تعجلوا. على المرأة حدان حد لغربتها لأنها قذفته وحد لاقرارها على نفسها، وليس على الرجل شيء.

2- عن الرضا (عليه السلام): "قضى أمير المؤمنين (عليه السلام) في محصنة فجر بها غلام صغير فأمر عمر أن ترجم فقال على: لا يجب عليها الرجم إنَّما يجب عليها الحد لأن الذي فجر بها ليس بمدرک.

3- ...أمر عمر برجل يمني محصن فجر بالمدينة أن يرحم، فقال على: لا يجب عليه الرجم لأنه غائب عن أهله، إنَّما يجب عليه الحد فقال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن.

4- ما في عجائب أحكامه... عن أبي عبد الله (عليه السلام): أتى عمر بامرأة تعلقت بأنصاري تهواه فلم تقدر على حيله، فصبت بياض البيض على ثيابها وجسمها ثم جاءت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين ان هذا أخذني في موضع كذا ففصحنى فهم عمر أن يعاقب الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين تثبت في أمرى فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى فنظر على إلى بياض البيض على ثوبها فقال: ائتوني بماء مغلى فأمر بصبه على ذلك البياض، فاذا هو بياض البيض وأقرت المرأة بذلك ([36]).

ومن هذه الأفضية ما أورده محب الدين الطبري في كتاب ذخائر العقبي عن عبداً بن الحسن قال: دخل عليّ على عمر وإذا امرأة حبلى تقاد ترجم قال ما شأن هذه قالت يذهبون بي يرحمونني فقال أمير المؤمنين لأي شيء ترجم؟ ان كان لك سلطان عليها فما لك سلطان على ما في بطنها فقال عمر: كل أحد أفقه مني ثلاث مرات. فضمنها على حتّى ولدت غلاما ثم ذهب بها إليه فرجمها ([37]).

وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده قال: أتى عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها، فتلقاها على فقال: ما بال هذه، قالوا أمر عمر برجمها فردها على وقال: هذه سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها، ولعلك انتهرتها أو أخفتها؟، قال: قد كان ذلك. قال: أو ما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا حد على معترف بعد بلاء، أنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا اقرار له فخلى سبيلها ([38]).

وعن أبي طبيان قال: شهدت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى بامرأة قد زنت فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها، فلقبهم على فقال: ما لهذه؟ قالوا زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها على من أيديهم، فردهم، فرجعوا إلى عمر فقالوا ردنا على قال: ما فعل هذا على إلاّ لشيء فأرسل إليه فجاءه، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: "رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتّى يستيقظ وعن الصغير حتّى يكبر وعن المبتلى حتّى يعقل؟" فقال: بلى. فقال: هذه مبتلاة بنى فلان، فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري: أنا أدري، فترك رجمها ([39]).

المبحث الخامس: تصنيف دور علي(عليه السلام) :

ان هذا الدور الذي لعبه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) طيلة عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والذي يستند إلى ما تمتع به من شخصية تتميز بكل ما يجب أن يتميز به القاضي من سعة أفق وعلم ودراية بأصول التقاضي وبالفقه وبكتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو دور المرجع الأعلى في القضاء، الذي له سلطة فوق سلطة الخليفة الذي يقر له دائما بهذه المرجعية ولا يمنعه شغله لا على منصب في دولة الإسلام من أن ينتقل بنفسه إلى حيث يكون على ليعرض عليه قضية أشكلت عليه أو أدرك أنه ليس بمستطاعه اصدار الحكم الصحيح فيها، فيطلب إليه أن يصدر حكمه فيها.

وعندما كان عمر (رضي الله عنه) يصدر أحكاما في قضايا معينة وهو يظن أنه فصل فيها وفقا لكتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان علي (رضي الله عنه) يملك سلطة التدخل ووقف تنفيذ الحكم الصادر عن الخليفة. ثم تعاد القضية إلى المناقشة ليدلى فيها على برأيه وقضائه. وليكون ما يحكم به علي (رضي الله عنه) هو الحكم النافذ. ولم يكن عمر بن الخطاب وهو الخليفة يجد أية غصاصة في أن يتدخل على (رضي الله عنه) لنقض أحكامه وتغييرها. ذلك أن عمر (رضي الله عنه) كان يريد الوصول إلى انفاذ أمر الله كما وصفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: "وأشهدهم في أمر الله عمر" وليس إلى انفاذ أمره هو.

ولم ينكر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دور علي بن أبي طالب ومكانته وكان يصرح دائما بفضلته وعلمه ومكانته .

الخاتمة :

هذا بحث متواضع أردت به أن أبين مكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عند أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والدور الكبير الذي لعبه على عهد الخليفة عمر بن الخطاب. وهو الدور الذي نستطيع أن نشبهه بالدور الذي تلعبه المحاكم العليا في أيامنا هذا أو محاكم التمييز، فإذا شئنا أن نصف الدور القضائي لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بأنه دور المرجع القضائي الأعلى في الدولة الإسلامية فإذا قضى الآخرون فإنه يملك أن يراجع أحكامهم وأن يصدر حكمه الذي يصبح حكما مبرما بمجرد أن يصدره، إذ أنه يملك قدرة عظيمة على تعليق الأحكام وبيان الأوجه التي استند إليها والأدلة من الكتاب والسنة.

ولولا يكن على (رضي الله عنه) يحوز الثقة الكاملة بدينه وعلمه وقضائه لما احتل هذه المكانة العالية.

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى الفتاوى التي كان يصدرها أمير المؤمنين فقد كانت فتواه لا تقل أصابة ودقة عن قضاائه.

نعم لقد اختلفوا حول الخلافة ولمن ينبغي أن تكون، ولقد لعبت عوامل كثيرة دورها في إبعاد علي (رضي الله عنه) عن منصب الخليفة طيلة ثلاثة عهود.

منها عوامل متعلقة بذاته ومنها ما هو متعلق بتاريخه لا سيما بلائه في المشركين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنها ما هو عائد إلى ما كان سائدا قبل الإسلام وهناك أمور أخرى لا مجال لذكرها.

لكنهم اتفقوا جميعا على أن عليا (رضي الله عنه) هو الأعلم والأتقى والأشجع والأقضى، وأنه مرجع لا غنى عنه لأمة محمد (صلى الله عليه وآله) وأنه صاحب خصال حميدة وتاريخ وسبق في الإسلام كرم الله وجهه عن السجود لصنم ورغم أن عليا (رضي الله عنه) لم يكن راضيا عن تولي سواه لمنصب الخلافة إلا أنه كان يرى أن الإسلام هو الأصل وأن الأهمية هي في الأمة وحفظ دينها، لذلك تراه عندما يتهدد خطر الردة الإسلام يسارع لإعطاء البيعة، والمساهمة في درء الخطر عن دولة الإسلام وأمتة ودينه.

وتراه خير وزير ومعين ومشير لمن سبقه من الخلفاء لا يبخل عليهم برأى ولا بعلم ولا بقضاء ولا بنصيحة. كنصيحته لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأن لا يذهب بنفسه لحرب الروم، وأن يبقى في المدينة.

إن الرعييل الأول قد عرفوا كيف يتعاملون ويلتقون ويحصنون الإسلام ويحمونه ويوصلونه إلينا أسلاما محمديا أصيلا ولو اقتضى الأمر منهم بذل الدماء والنفوس والأرواح.

ان اهل بيت النبي أئمة هذه الأمة دون منازع ولكنهم ما حملوا سلاحا ولا شقوا عما الطاعة على خليفة
إلا عندما انتهكت حرمت الله واستخف بدين الله فخرجوا ليحموا دين الله بأرواحهم وأريقوا دماؤهم.

وأخيرا :

حبذا لو استطعنا أن ننظر إلى ما كان من أمر المسلمين نظرة جديدة ومختلفة عما هو قائم منذ زمن
بعيد. وأن نخرج من أنفاق العصبية المذهبية لندخل في رحاب الإسلام الأصيل وأن نقرأ التاريخ بعيون ترى
المواقف ولا تحكم على المسائل بالتباعد الأهواء والشهوات، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

1 - القرآن الكريم.

2- صحيح مسلم.

3 - عارضة الأحوذى، شرح صحيح الترمذي.

4 - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى. تأليف العلامة محب الدين أحمد ابن عبد الله الطبري.

5 - كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين.

6 - قضاء على بن أبي طالب، تأليف على محمد علي دجيل.

المحتوى

الفصل الأول: العلاقة بين أهل البيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه رضوان الله عليهم.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن مكّة والتنافس بين أهلها.

المبحث الثاني: مكانة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثالث: حب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الرابع: كيف كان التعاطي مع أهل البيت سلام الله عليهم.

المبحث الخامس: مكانته من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

المبحث السادس: مكانته العلمية.

الفصل الثاني: علي (رضي الله عنه) والقضاء.

المبحث الأول: قضاؤه زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثاني: درجة قضاء علي (رضي الله عنه) أيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثالث: في عهد الخلفاء الذين سبقوه (رضي الله عنه)م.

المبحث الرابع: قضاء علي (رضي الله عنه)في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

المبحث الخامس: تصنيف دور علي (رضي الله عنه).

الخاتمة.

([2]). سورة آل عمران: 159.

([3]). سورة التوبة: 128.

([4]). سورة الفتح: 29.

([5]). سورة آل عمران: 31.

([6]). سورة الشورى: 23.

([7]). ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عداة الطبرى، ص18.

([8]). المصدر السابق، ص 18.

([9]). المصدر السابق، ص 18.

([10]). المصدر السابق، ص 18.

([11]). عارضة الأحوذى، شرح صحيح الترمذى، باب مناقب على، ج 13، ص 175. وفي صحيح مسلم، ج 15، ص 169.

([12]). المصدر السابق نفسه، ج 13، ص 164.

([13]). صحيح مسلم، ج 15، ص 173.

([14]). ذخائر العقبى، ص 62.

([15]). المصدر السابق، ص 66.

([16]). ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، مجد الدين أحمد بن عداة الطبرى، ص83.

([17]). عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، ج 13، ص 171.

([18]). ذخائر العقبي، ص 78.

([19]). نفس المصدر، ص 79.

([20]). ذخائر العقبي، ص 78.

([21]). عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، ج 13، ص 165 (أبواب المناقب) للامام الحافظ ابن العربي المالكي.

([22]). المصدر السابق، ج 13، ص 171 (أبواب المناقب).

([23]). المصدر السابق، ج 13، ص 177 (أبواب المناقب).

([24]). ذخائر العقبي، ص 83.

([25]). نفس المصدر، ص 83.

([26]). نفس المصدر، ص 83.

([27]). الزبية: حفرة تحفر ليقع فيها الأسد فيتم اصطياده.

([28]). راجع أعيان الشيعة الجزء الثانى ص 122، للامام السيد محسن الأمين.

([29]). قضاء الامام على، لعلي محمدّ على دخیل، ص 44.

([30]). قضاء الامام على، على محمدّ على دخیل، ص 43.

([31]). راجع كتاب ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى لمجد الدين أحمد بن عباد الطبرى، ص 83.

([32]). عارضة الأحوذى ج 13، ص 202 أبواب المناقب.

([33]). أعيان الشيعة، ج 2، ص 179.

([34]). المصدر السابق، ج 2 ص 180.

([35]). ذخائر العقبى، ص 82.

([36]). كتاب أعيان الشيعة، ج 2 ص 179.

([37]). ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، ص 81 – 80.

([38]). ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، ص 81 – 80.

([39]). المرجع نفسه.